



فلسفة الأخلاق عند ابن سينا

نعيمة المختار مصباح الحاج

قسم الفلسفة - كلية التربية زوارة - جامعة الزاوية

n.alhaaj@Zu.edu.ly

The Philosophy of Ethics in Ibn Sina

Na'ima al-Mukhtar Misbah al-Hajj

Department of Philosophy – Faculty of Education, Zuwarah – University of

Zawiya

تاريخ الاستلام: 2026/01/17 - تاريخ المراجعة: 2026/02/14 - تاريخ القبول: 2026/02/24 - تاريخ للنشر: 2026 /03/25

الملخص

تتاول هذا البحث النزعة التكاملية في فلسفة الأخلاق عند ابن سينا، مبرزاً كيف صاغ "ابن سينا" الأخلاق كعلمٍ محكمٍ يربط بين صحة البدن واستقامة الروح، وقد كشفت الدراسة عن منهج ابن سينا في "الفلسفة النفسية" لتمكين العقل من قيادة القوى الشهوانية والغضبية، وصولاً إلى حالة "العدالة" التي تعكس الحقائق الإلهية. كما أوضح البحث الارتباط الوثيق بين "المزاج البدني" والأخلاق، معتبراً الفضيلة "وسطاً ذهبياً" يحقق التوازن الوجودي للإنسان، وسلطت الدراسة الضوء على التوفيق بين الحكمة اليونانية والشريعة الإسلامية، وخلص البحث إلى أن الغاية القصوى للأخلاق هي "السعادة القصوى" والاتصال بالعالم العلوي، وبذلك تتحول الأخلاق من سلوكٍ فردي إلى عقد اجتماعي يضمن استقرار المدينة الفاضلة.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الأخلاق - الوسط الذهبي - السعادة القصوى

Abstract

This research explores the integrative approach in Ibn Sina's philosophy of ethics, highlighting how he formulated ethics as a rigorous science linking physical health with spiritual rectitude. The study begins with Ibn Sina's methodology in "psychological philosophy," focusing on the role of the appetitive and irascible faculties, culminating in the state of "justice," which he considers divine recognition. The research also clearly examines the close connection between "satisfaction" and ethics, considering the virtue of the "golden mean" as vital to existence. Furthermore, the study sheds light on Ibn Sina's reconciliation of Greek wisdom and Islamic law, where the Prophet represents the perfect model of both law and ethics. The research concludes that the ultimate goal of ethics is "supreme happiness" and connection with the ideal world, thus transforming ethics from an individualistic control into a stable foundation for the ideal society.

Keywords: Ethics – Golden Mean – Supreme Happiness

المقدمة :

لم تكن أخلاق ابن سينا مجرد نصائح وعظية، بل صاغها كعلمٍ محكمٍ يربط بين "صحة البدن" و"استقامة الروح"، تنطلق فلسفة ابن سينا من رؤية طبية نفسية؛ فهو لا ينظر إلى الخلق كفعلٍ مجرد، بل كـ "هيئة راسخة في النفس"، لذا فإن السمة الأولى في منهجه هي أن الأخلاق تبدأ من "الرياضة النفسية"؛ أي تدريب العقل (النفس الناطقة) ليصبح هو القائد الأعلى الذي يكبح جماح القوة الغضبية والشهوانية، تماماً كما يروض الفارس الحاذق جواده الجامح، وفي السمة الثانية يبلور ابن سينا مفهوم الفضيلة من خلال "منطق الاعتدال" وهو يرى أن كل فضيلة هي "وسط" دقيق يقع بين طرفين مذمومين (الإفراط والتفريط)، فعلى سبيل المثال الحكمة هي الوسط بين البلادة والمكر، والشجاعة هي الوسط بين الجبن والتهور. هذا التوازن ليس مجرد خيار أخلاقي، بل هو محاكاة لنظام الكون الرصين، ومن خلال ضبط هذه الأوساط يصل الإنسان إلى "العدالة"، وهي الحالة التي تتناغم فيها قوى النفس، وتصبح المرآة الروحية للإنسان صافية قادرة على عكس الحقائق الإلهية وتكتمل الصورة في السمة الثالثة، حيث يربط ابن سينا الأخلاق بـ "المصير الأخروي والكمال العقلي". الأخلاق عنده ليست هدفاً في حد ذاتها، بل هي "وسيلة للتطهير"؛ فبدون تهذيب النفس، يظل العقل محبوساً في سجن الجسد وشهواته، والغاية القصوى من الأخلاق هي الوصول إلى "السعادة القصوى"، وهي حالة من اللذة العقلية الناتجة عن اتصال النفس بالعالم العلوي.

المشكلة البحثية :

تكمن المشكلة البحثية في محاولة فهم "النزعة التكاملية في فلسفة الأخلاق عند ابن سينا"؛ فابن سينا لم يقدم الأخلاق كفلسفة وعظية مجردة، بل صاغها كنسقٍ معقدٍ يتقاطع فيه الجانب الطبي (المزاج البدني) مع الجانب السيكولوجي (قوى النفس) والجانب الميتافيزيقي (الكمال الوجودي) وتتحوّل المشكلة في الإجابة عن التساؤل التالي:
كيف استطاع ابن سينا التوفيق بين حتمية "المزاج البدني" وطبيعة "النفس الروحانية" وبين حرية الإنسان في اكتساب الفضائل للوصول إلى السعادة القصوى؟.

أهمية البحث

1. رؤية ابن سينا للأخلاق كـ "طب للنفس"، مما يربط الأخلاق بالعلوم التطبيقية والبيولوجية.
2. التأسيس الوجودي للقيم من خلال إيضاح كيف ربط ابن سينا بين "الخير" و"الوجود"، معتبراً الفعل الأخلاقي محاكاة للنظام الكوني الأكمل.
3. كشف قدرة ابن سينا على التوليف بين الفلسفة اليونانية (المشائية والأفلوطينية) وبين الرؤية الإسلامية (الوحي والنبوة).
4. الأبعاد السياسية والاجتماعية من خلال عملية تحول الأخلاق عند ابن سينا من سلوك فردي إلى "عقد اجتماعي" ومدني يضمن استقرار "المدينة الفاضلة".
5. تتبع أثر هذا الفكر في كل من مدارس الشرق (الغزالي والطوسي) والغرب اللاتيني (توما الأكويني)

أهداف البحث

1. استكشاف العلاقة بين مفهوم "واجب الوجود" وبين غاية الكمال البشري والسعي الأخلاقي.
2. شرح كيفية تفاعل العقل العملي مع القوى الحيوانية (الشهوة والغضب) لإنتاج "الملكة" الأخلاقية.
3. توضيح مفهوم "الوسط الذهبي" في الفضائل الأربع الكبرى (الحكمة، العفة، الشجاعة، العدالة) وكيفية تحقيق التوازن بينها.
4. بحث أثر الأخلاط الأربعة والمزاج البدني في تشكيل السلوك الإنساني ومدى إمكانية تعديله بالرياضة النفسية.

5. دراسة "مقامات العارفين" كمنهج تطبيقي للارتقاء بالنفس من أسر المادة إلى اللذة العقلية والاتصال بالعالم العلوي.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي لرصد وتتبع المفاهيم الأخلاقية في مؤلفات ابن سينا الأساسية مثل (الشفاء، النجاة، والإشارات والتنبهات)، و المنهج التحليلي من خلال تفكيك العلاقة الارتباطية بين قوى النفس، والمزاج البدني، والناموس الشرعي، وتحليل كيف تتحول الفضيلة من مجرد فعل إلى "هيئة راسخة" في جوهر النفس. وبناءً على ما تقدم قسم البحث إلى الآتي :

أولاً: ابن سينا: حياته وأشهر مؤلفاته :

ولد أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا عام 980م في قرية "أفشنة" بالقرب من بخارى (في أوزبكستان الحالية) وأظهر منذ طفولته نبوغاً خارقاً، فحتم القرآن وتعلم الأدب وهو في العاشرة، ثم انطلق يلتم علوم الفقه والفلسفة والرياضيات والطب، حتى قيل إنه لم يبلغ الثامنة عشرة إلا وقد استوعب كل علوم عصره، عاش متنقلاً بين بلاط الأمراء ووزارات الدول، و نال شهرة واسعة بعد نجاحه في علاج سلطان بخارى "نوح بن منصور" من مرض عجز عنه الأطباء، فكافأه السلطان بفتح المكتبة الملكية "صوان الحكمة" أمامه، مما أتاح له التبحر في علوم لم تكن متاحة لغيره. (1)

تميزت حياته بالترحال المستمر والنشاط العلمي الكثيف و عاش حياة مليئة بالاضطرابات السياسية؛ حيث تنقل بين مدن عدة مثل جرجان، والري، وهمدان، وأصفهان و شغل مناصب سياسية رفيعة كوزير، لكنه سُجن أحياناً واضطر للهرب أحياناً أخرى نتيجة الصراعات على السلطة في ذلك العصر لكنه رغم انشغاله بالسياسة والطب، ترك للمكتبة البشرية ذخائر لا تُقدر بثمن ، و لا شك أن صحبته لفلاسفة الباطنية (أبو عبد الله الناطلي) الذي علمه بصغره وقد أثرت في تفكير ابن سينا، وهيأته للدور الذي لعبه في تنشيط تيار الفلسفة واتخاذها موقف التحدي للعقيدة الإسلامية، ومثال على ذلك نظرية المعرفة، والتي ساوى فيها الفلاسفة مع الأنبياء، وقد خص الفلاسفة بميزة أخرى وهي أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم وارتقاء معارفهم في الوقت الذي ختمت النبوة بسيدنا محمد عليه السلام. (2)

بدأ ابن سينا حياته كأبي طالب علم في عصره؛ حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو في سن العاشرة، ودرس الأدب والفقه الإسلامي قبل أن يتجه إلى الطب والفلسفة، هذه الخلفية الدينية هي التي جعلته يستخدم المصطلحات القرآنية في شرح نظرياته الفلسفية لاحقاً ولم يكن ابن سينا مجرد طبيب، بل كان يسعى للتوفيق بين العقل (الفلسفة اليونانية) والنقل (الدين الإسلامي). حيث كان يرى أن الوحي هو أعلى مراتب العقل. (3)

و كتب رسائل في تفسير القرآن، مثل تفسير سورة الإخلاص وسورة الفلق، محاولاً إعطاءها أبعاداً فلسفية، وبرغم أنه عاش مسلماً ومات وهو يصلي ويتصدق، إلا أن أفكاره الفلسفية أثارت معارك كبرى حيث ان أبو حامد الغزالي في كتابه الشهير "تهافت الفلاسفة"، كَفَّر ابن سينا في مسائل (منها القول بقدم العالم وإنكار حشر الأجساد)، واعتبره مبتدعاً في مسائل أخرى، كذلك ابن تيمية: كان له نقد لاذع لابن سينا، معتبراً فلسفته خروجاً عن جادة أهل السنة والجماعة، وربط ذلك بتأثره بـ "الباطنية"، حيث كان والد ابن سينا وأخوه ممن استجابوا لدعاة الإسماعيلية (التي كانت توصف بالباطنية آنذاك)، ورغم أن ابن سينا لم يتبع مذهبهم تماماً، إلا أنه نشأ وهو يسمع مناظراتهم حول "النفس والعقل"، مما شكل عقله الفلسفي الفريد الذي مزج فيه بين الطب، والسياسة (حيث عمل وزيراً)، والفلسفة الباطنية والمشائية. (4)

وأصاب جسده المرض واعتلّ، حتى قيل إنه كان يمرض أسبوعاً ويشفى أسبوعاً، وأكثر من تناول الأدوية، ولكن مرضه اشتدّ، وعلم أنه لا فائدة من العلاج، فأهمل نفسه وقال: إن المدبر الذي في بدئ عجز عن تدبير بدني، فلا تنفعنّ المعالجة، واغتسل وتاب، وتصدق بما لديه من مال للفقراء، وأعتق غلماناً طلباً للمغفرة، وبدأ بختم القرآن كل ثلاثة أيام

و توفي في يونيو 1037 ميلادية، الموافق لشهر رمضان المبارك، في سن الثامنة والخمسين من عمره، ودفن في همدان إيران ، مخلفاً وراءه إرثاً علمياً ضخماً على رأسها كتاب "القانون في الطب" الذي ظل مرجعاً لأوروبا لقرون، وموسوعة "الشفاء"، وكتاب "الإشارات والتنبيهات". (5)

ومن أشهر مؤلفاته موسوعة الشفاء وأطلقت عليها هذه التسمية لأنه تهدف إلى شفاء الروح من الجهل والضلال عبر المعرفة والحكمة وهذا الكتاب ليس مجرد مؤلف فلسفي، بل هو موسوعة علمية وفلسفية كبرى وتعتبر أضخم عمل خطه قلم واحد في العصور الوسطى وتنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية: (المنطق، الطبيعيات، الرياضيات، والإلهيات) و تناول الجانب الفلسفي في قسم "الإلهيات" أو الميتافيزيقا، قدم ابن سينا نظريته الشهيرة حول "واجب الوجود" و"ممكن الوجود"، وهي محاولة عقلية لإثبات وجود الله بعيداً عن النصوص النقلية، مما أثر لاحقاً في فلاسفة الغرب مثل توما الأكويني.

وكتاب الإشارات والتنبيهات وهو يتميز بأسلوب مكثف ومرموز، حيث يطرح "إشارات" عقلية ثم يتبعها بـ"تنبيهات" للقارئ ليتفكر فيها، مما يجعله كتاباً للنخبة من الفلاسفة و يركز بشكل كبير على علم النفس الفلسفي، الأخلاق، والتصوف، وفي نهاية الكتاب يتحدث ابن سينا عن "مقامات العارفين"، حيث حاول التوفيق بين العقل الفلسفي والتجربة الروحية (الصوفية) وظل هذا الكتاب محور الشروح والنقاشات الفلسفية في العالم الإسلامي لقرون، وكان الرد عليه أو شرحه معياراً لقوة أي فيلسوف جاء بعده (مثل فخر الدين الرازي):

ثانياً: مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم وفي اللغة والاصطلاح:

عُد فهم الجانب اللغوي والاصطلاح لمفهوم الأخلاق عند ابن سينا وفي الفكر الفلسفي عامة خطوة أساسية، لأن اللغة في التراث العربي القديم كانت تعكس بعمق الجوهر الوجودي للمصطلح.

1. الأخلاق في القرآن الكريم و في السنة :

الأخلاق كصورة باطنة (الهوية): قال تعالى في وصف النبي ﷺ: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (6)، ونرى في وجه الاستدلال استخدم القرآن حرف الجر "على" الذي يفيد الاستعلاء والتمكن، مما يشير إلى أن الخلق ليس فعلاً عابراً، بل هو "ملكة" راسخة ومحيطة بالنفس، وهو ما يتطابق مع التعريف الاصطلاح (الملكة الراسخة).

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} (7) و وجه الاستدلال هنا تأصيل قرآني لمفهوم "الوسط الذهبي" الذي اعتمده ابن سينا؛ فالكرم فضيلة تقع بين رذيلتي الإسراف والبخل.

و في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" و وجه الاستدلال: كلمة "أتمم" تشير إلى أن الأخلاق بناء متراكم، وأن الرسول جاء ليضع اللمسة النهائية والكمال لهذه "الملكات" النفسية و يرى علماء الأخلاق المسلمون أن ابن سينا حين عرف الخلق بأنه "ملكة"، كان يفسر آليات النفس التي أشار إليها الوحي؛ فالقرآن يطالب بـ "التركية"، والسنة تطالب بـ "التخلق"، والفلسفة تشرح "كيف" تتحول هذه الأفعال إلى عادات راسخة في العقل والروح. (8)

2. الأخلاق في اللغة :

كلمة "خُلِقَ" (بضم الخاء واللام) في اللسان العربي ترتبط ارتباطاً جديراً بكلمة "خَلَقَ" (بفتح الخاء)، وهذا الترابط يحمل دلالات عميقة:

- المظهر الباطن: إذا كان "الخُلُق" يشير إلى الهيئة الظاهرة للصورة البشرية (الطول، اللون، الملامح)، فإن "الخُلُق" يشير إلى الهيئة الباطنة للنفس وأوصافها. (9)
- السجية والطبع: تُعرف الأخلاق لغوياً بأنها السجية، أو المروءة، أو الدين. وهي تعني القوة الراسخة في ذات الإنسان التي يصدر عنها السلوك ببسر وسهولة. (10)

- التقدير والقياس: تعود الجذور اللغوية أيضاً إلى "خَلَقَ" بمعنى قَدَر ووضع الشيء في موضعه الصحيح، مما يوحي بأن الأخلاق هي "نظام" أو "تقدير" للسلوك. (11)

2. الأخلاق في الاصطلاح :

في الاصطلاح الفلسفي السينيوي، لا تقتصر الأخلاق على "الفعل" ذاته، بل هي الحالة النفسية التي تسبق الفعل ، ويُعرف "الخلق" اصطلاحاً بأنه:

"مَلَكَة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة ودون حاجة إلى فكر وروية". (12)

و الفرق بين "الخلق" و"التخلق" عند ابن سينا (وغيره من المناطق) بين درجتين من التعامل مع السلوك:

- الخلق: هو ما استقر في النفس وصار جزءاً من هويتها.
- التخلق: هو محاولة اكتساب الخلق بالتكليف والمجاهدة (مثل من يحاول أن يصبر وهو في الأصل سريع الغضب)، ويرى ابن سينا أن التخلق هو الوسيلة والرياضة التي تؤدي في النهاية إلى تحويل السلوك الحسن إلى خُلُق مستقر. (13)

و علاقة الأخلاق بالعقل عند ابن سينا ليست مجرد عواطف، بل هي انقياد القوى "الشهوية" و"الغضبية" لأمر القوة العاقلة ، فالفضيلة هي "الوسط" الذي يحدده العقل بين رذيلتين (الإفراط والتفريط). (14)

ثالثاً: رؤية الأخلاق عند ابن سينا:

تمثل فلسفة الأخلاق عند أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ذروة التوليف بين الفكر المشائي الأرسطي والنزعة الأفلوطينية المحدثه، في إطار الرؤية الإسلامية للوجود والكمال الإنساني، إن الأخلاق السينيوية ليست مجرد مباحث معزولة في السلوك، بل هي نسق فلسفي متكامل يرتبط برباط وثيق بالميتافيزيقا (الإلهيات) وعلم النفس (الطبيعيات)، وصولاً إلى السياسة والتدبير المدني ، ويرى ابن سينا أن التصور الفلسفي يجعل الأخلاق ملازمة للعلم، حيث إن سبب وجود الأشياء هو علم الله بها، ومن ثم يكون الفعل الأخلاقي الإنساني محاولة لمحاكاة هذا النظام الوجودي الأكمل والتشبهه بالكمال الإلهي بقدر ما تسمح به الطاقة البشرية. (15)

و تعتبر الأخلاق عند ابن سينا جزءاً لا يتجزأ من فلسفته الوجودية والنفسية، فهو لا يرى الأخلاق مجرد "سلوك ظاهري"، بل هي حالة تتبع من توازن القوى داخل النفس البشرية وقسم ابن سينا النفس البشرية إلى قوى، وجعل الأخلاق هي الحاكم والمسيطر على هذه القوى. يرى أن الصراع الأخلاقي يحدث بين:

أ. القوة الشهوانية: التي تطلب اللذة الحسية.

ب. القوة الغضبية: التي تطلب الغلبة والانتقام.

ج. القوة الناطقة (العقل): وهي القوة التي يجب أن تقود النفس.

والفضيلة عند ابن سينا هي انتصار "القوة الناطقة" على القوتين الشهوانية والغضبية، فإذا خضعت هاتان القوتان للعقل، تحول السلوك إلى فضيلة، وإذا تمردتا صار رذيلة. (16)

رابعاً: الأسس الميتافيزيقية للأخلاق "الخير والكمال":

تنطلق الأخلاق عند ابن سينا من رؤية أنطولوجية (وجودية) تربط بين الخير والوجود وبين الشر والعدم، فكل ما هو موجود من حيث هو موجود، يمتلك حصة من الكمال، والكمال هو عين الخير، كما يرى ابن سينا أن أساس الوجود والموجودات هو الكمال، وما سواه هو شر أو عدم، حيث يوحد بين الشر والعدم والنقص، معتبراً أن كمال الموجود يتحقق بحصوله على سماته الوجودية التي تليق بطبيعته. (17)

يشكل مفهوم "واجب الوجود" المركز الذي تدور حوله هذه الرؤية فإله كونه واجب الوجود بذاته، هو الخير المحض لأنه الوجود الصرف الذي لا يشوبه عدم أو إمكان، وهو الذي يفيض الوجود على الممكنات. إن الله هو غاية الكمال والجمال والبهاء، وذاته لذاته أعظم عاشق ومعشوق، وأعظم لآذ وملتذ، لأن اللذة ليست إلا إدراك الملائم. (18)

ومن هذا الوجود الفائض، تتحدر الكائنات في مراتب عبر عملية صدور تجعل كل مرتبة تالية أقل كمالاً من سابقتها، مما يخلق حاجة فطرية لدى الكائنات للعودة إلى أصلها الكمالي، وهي الحركة التي تترجم في الإنسان إلى "فعل أخلاقي" يهدف إلى استكمال القوة الناطقة. (19)

إن التمييز بين الماهية والوجود يلعب دوراً حاسماً في فهم الضرورة الأخلاقية، فالموجود الممكن لا يوجد إلا إذا رجح وجوده مرجح خارجي يجعله "واجب الوجود بغيره"، وهذا يعني أن النظام الأخلاقي عند ابن سينا هو نظام يتسق مع الحكمة الإلهية التي لا تترك شيئاً للعبث، الشر في هذا النسق هو أمر عرضي، فهو إما عدم كمال أول (مثل الجهل) أو عدم كمال ثانٍ (مثل فقدان العضو)، وبالتالي فإن الأخلاق هي عملية سعي دؤوب نحو سد هذه الفجوات الوجودية عبر تحصيل الفضائل. (20)

ولا يمكن إدراك جوهر الأخلاق السينية دون الغوص في مذهبه في النفس، فالفعل الأخلاقي هو ثمرة التفاعل بين قوى النفس المختلفة. يرى ابن سينا أن النفس جوهر روحاني مجرد ومستقل عن البدن، ولكنها تستخدم البدن كآلة لتحقيق كمالاتها، وهي وحدة واحدة لها قوى متعددة وتشتمل النفس الإنسانية على قوى محركة وقوى مدركة، وتتوزع هذه القوى في مراتب تصاعدية من النباتية إلى الحيوانية وصولاً إلى الناطقة ويربط ابن سينا السلوك الأخلاقي بصراع السيادة داخل النفس، فالقوة الناطقة تنقسم إلى قسمين:

- العقل النظري، ووظيفته إدراك الحقائق الكلية.

- والعقل العملي، ووظيفته تدبير الأفعال الجزئية بما يتفق مع مقتضيات العقل النظري. (21)

إن وظيفة العقل العملي هي استنباط الآراء المتعلقة بالأفعال الإنسانية من أجل السيطرة على القوى الحيوانية (الشهوانية والغضبية)، السلوك الأخلاقي الفاضل يخرج إلى الوجود عندما ينجح العقل العملي في جعل هذه القوى تطيع أوامر العقل، مما يحقق حالة من التوازن الروحي. (22)

يضيف ابن سينا بعداً سيكولوجياً دقيقاً عبر تحليل الحواس الباطنة مثل الوهم والخيال، فالوهم قد يصور للإنسان أن اللذات الحسية هي الخير الأقصى، وهنا تكمن أهمية التربية الأخلاقية في تصحيح هذا الإدراك الحسي والارتقاء به إلى إدراك عقلي، إن الأخلاق عند ابن سينا هي عملية "تطويع" مستمرة؛ فإذا اعتادت النفس على الانقياد للعقل، تحولت هذه الأفعال إلى "ملكات" راسخة، وهي ما يطلق عليه "الخُلُق"، يرى ابن سينا أن الطبع قد لا يكون فطرياً بالكامل، بل يكتسب عبر التكرار والتمرين والتعود على الأفعال حتى تصبح صفة راسخة في النفس تسمى خلقاً. (23)

خامساً: نظرية الفضيلة التوسط والوسط الذهبي :

عندما نقل ابن سينا نظرية "الوسط الذهبي" من الفلسفة اليونانية (أرسطو) إلى الفضاء الإسلامي، لم يكتفِ بنقلها حرفياً، بل أعطاها صبغة نفسية ومعرفية أعمق، تربط بين "صحة الجسد" و"كمال الروح" و يرى ابن سينا أن النفس الإنسانية تحتوي على قوى متصارعة، والتوسط هو الأداة التي تضمن سيادة القوة العاقلة.

وتتبنى الأخلاق عند ابن سينا المفهوم الأرسطي للفضيلة بوصفها "وسطاً" بين رذيلتين، لكنها تضيف عليها صبغة ميتافيزيقية وجمالية و الفضيلة عند ابن سينا هي هيئة التوسط في القوى الإنسانية الثلاث، وهي تنقسم إلى أمهات أربع: الحكمة، العفة، الشجاعة، والعدالة و تتشكل فضيلة العفة من خلال هيئة التوسط في القوة الشهوانية، وهي تعني الاعتدال في طلب اللذات الحسية والوهمية، مثل لذة المأكّل والمنكوح والراحة، دون إفراط ينحدر بالإنسان إلى الرتبة الحيوانية، ودون

تقريب يعطل وظائف البدن، أما الشجاعة فهي هيئة التوسط في القوة الغضبية، وتتعلق بالاعتدال في الانفعالات النفسية مثل الخوف والغضب والغم والحقد والحسد، والوقوف في منطقة الوسط بين التهور والجبن، والحكمة العملية هي هيئة التوسط في القوة التدبيرية، وهي التي تتعلق بالأفعال والتصرفات الدنيوية وطلب المصالح واجتتاب المضار الإنسانية، وتقع وسطاً بين الجريزة (المكر) والبلاهة. (24)

تعتبر "العدالة" عند ابن سينا الفضيلة الجامعة، وهي ليست مجرد وسط بين طرفين، بل هي حالة من "التناسب" والوئام تنشأ من اجتماع الفضائل الثلاث السابقة وتوازنها، إن العدالة هي التي تضمن أن كل قوة في النفس تؤدي وظيفتها المنوطة بها دون التغول على القوى الأخرى. يرى ابن سينا أن من اجتمعت له الحكمة النظرية مع فضائل الأخلاق (العدالة)، فقد نال السعادة القصوى، ومن فاز فوق ذلك بالخواص النبوية، فإنه يقترب من مرتبة "الرب الإنساني" ويصبح خليفة الله في أرضه. (25)

وهنا تظهر بصفة ابن سينا الخاصة؛ فهو لا يطلب التوسط من أجل السلوك الاجتماعي فقط، بل لأن الإفراط أو التقريط يجعل النفس "تتعلق" بالمادة وبالبدن.

أ. الإفراط في الشهوة يجعل النفس أسيرة للجسد.

ب. التوسط يحرر النفس ويجعلها "صقيلة" كالمرأة، لتستعد لاستقبال المعارف من "العقل الفعال" (الاتصال بالجانب الإلهي).

والفضيلة عند ابن سينا هي "الانتصار الدائم للعقل"، فالإنسان الفاضل هو الذي لا يمنع شهوته بالكلية ولا يطلق لها العنان، بل "يهذبها" لتكون خادمة للعقل، وبذلك يحقق التوازن الذي يضمن له السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

سادساً: الارتباط بين المزاج البدني والأخلاق:

يتميز ابن سينا بكونه الطبيب الفيلسوف، وهو ما انعكس على فهمه للأخلاق من خلال ربطها بـ "المزاج" في كتابه "القانون في الطب"، يوضح ابن سينا أن الأخلاط الأربعة (الدم، البلغم، المرة الصفراء، المرة السوداء) تؤثر بشكل مباشر في السمات السلوكية للإنسان، فالجسم البشري مخلوق من هذه الأمشاج المختلفة في اللون والمزاج، وأي اختلال في توازنها يؤدي إلى ميل النفس نحو ردائل معينة. (26)

على سبيل المثال، يرى الطب الأبقراطي والسينوي أن زيادة الصفراء قد تؤدي إلى حدوث الغضب المفرط والعدوانية، بينما ترتبط زيادة السوداء (السوداوية) بالاكنتاب والجبن، أما الدم فيترافق مع الطبيعة المتفائلة والنشيطة، ومع ذلك يؤكد ابن سينا أن الأخلاق ليست طابعاً فطرياً غير قابل للتغيير، بل هي "مكتسبة" رغم دور المزاج في تدعيمها أو تعصيب تهذيبها، فالإنسان الممنوح إرادة حرة مسؤول عن أفعاله وعن تعديل مزاجه البدني عبر الرياضة البدنية والنفسية لتحقيق الاعتدال الأخلاقي. (27)

هذا الربط يبرز الطابع العملي والعلمي في فلسفته؛ فالأخلاق ليست مجرد تنظير مجرد، بل هي "صحة للنفس" تشبه صحة البدن، وكما أن الطبيب يسترد الصحة الزائلة للأعضاء، فإن المربي الأخلاقي يسترد الصحة الزائلة للنفس عبر تعديل قواها وكبح جماح أهوائها، إن التفاعل بين النفس والبدن عند ابن سينا يجعل من "تركيب النفس" عملية طبية وروحية متكاملة، حيث تخدم العبادات والرياضات البدنية غرضاً واحداً وهو إخضاع القوى الحيوانية لسيطرة القوى الناطقة. (28)

كما يرى ابن سينا أن الإنسان وحدة متكاملة لا يفصل فيها "البدن" عن "النفس"، فالعلاقة بينهما ليست مجرد سكنى، بل هي علاقة تأثر وتأثير متبادل في فلسفته، يُعتبر المزاج البدني هو الأرضية التي تنبت فيها الأخلاق، وابتكر ابن سينا مفهوماً طبياً فلسفياً يسمى "الروح" (وهو ليس الروح اللاهوتية، بل بخار لطيف يتولد من الأخلاط)، هذا الروح هو حامل

القوى النفسية فإذا كان هذا البخار كثيراً وصافياً، مالت النفس نحو الفرح والكرم وحسن الخلق و إذا كان كراً ومظلماً (بسبب سوء الهضم أو غلبة السوداء)، مالت النفس نحو الحزن، الخوف، وسوء الظن و يفرق ابن سينا بين نوعين من الأخلاق:

- أخلاق طبيعية (بدنية): وهي التي يفرضها المزاج الأصلي للإنسان (مثل الشخص الذي يولد "حداداً" بطبعه).
- أخلاق مكتسبة: وهي التي تحصل بالتعود والممارسة.

وهنا تكمن عبقريته؛ فهو يرى أن المزاج لا يجبر الإنسان على خلق سيء، بل يجعله "أكثر استعداداً" له ، فمن كان صفراوياً (يميل للغضب بدنياً)، يمكنه من خلال "الرياضة النفسية" وتعديل "الغذاء" أن يكسر حدة هذا الخلق ويصل إلى الاعتدال ، و في كتابه "القانون في الطب"، لم يعالج ابن سينا الأمراض كأعراض بدنية فقط، بل ربطها بالحالة الأخلاقية والنفسية، فالعلاج بالضد يرى من خلاله أن الأخلاق الرديئة هي "مرض للنفس" يمكن علاجه طبيياً. فمثلاً الشخص الذي يعاني من خوف مفرط (جبن)، قد يعالجه ابن سينا بأغذية تزيد من "حرارة" المزاج لتقوية قلبه ، كما ان الاعتدال غاية الطب والأخلاق و يؤصل ابن سينا لمفهوم "العدالة" كمبدأ كوني:

- في الطب: الاعتدال هو "الصحة" (توازن الأخلاط).

- في الأخلاق: الاعتدال هو "الفضيلة" (توازن القوى: الحكمة، الشجاعة، والعفة).

إذن الأخلاق عند ابن سينا هي "ثمرة التوازن البدني"، فالبدن المعتدل يساعد النفس العاقلة على التحكم في الشهوات والغضب، مما يؤدي في النهاية إلى إنسان فاضل.

سابعاً: العلاقة بين العقل والوحي :

تتفرد فلسفة ابن سينا برؤية تكاملية تربط بين الأخلاق الفلسفية والشريعة الدينية عبر "نظرية النبوة، يرى ابن سينا أن النبي هو الكائن الإنساني الأكمل الذي استكمل قوته النظرية بالاتصال بالعقل الفعال، واستكمل قوته العملية بالقدرة على وضع القوانين العادلة للبشر و النبي عند ابن سينا يمتلك "العقل القدسي" الذي يمكنه من تلقي الحقائق الكلية دون حاجة للتعلم الطويل، ثم يترجم هذه الحقائق إلى "تاموس" (قانون شرعي) ينظم حياة الناس. (29)

هذا الربط يجعل الأخلاق في المنظور السينيوي تتجاوز الفرد لتصبح مشروعاً اجتماعياً وسياسياً مؤيداً بالوحي. الشريعة ليست مناقضة للعقل، بل هي "عقل مجسد" في أوامر ونواهٍ تتناسب كافة مستويات البشر.

يرى ابن سينا أن هدف الشريعة هو تحقيق "العدالة" التي هي أساس بقاء النوع الإنساني، وربط هذه العدالة بالجزاء الأخروي لضمان الالتزام الأخلاقي و النبي هو الذي يضع السنن التي تقود المدينة نحو السعادة الدنيوية والنجاة الأخروية، وبذلك تصبح السياسة والأخلاق فرعين من شجرة واحدة أصلها الوحي وغايتها كمال النفس. (30)

إن الوحي يقدم للأخلاق "الإلزام" و"الغاية"؛ فالإنسان قد يدرك بعقله حسن العدل، لكن الشريعة تجعل من العدل عبادة تقرب إلى الله، كما أن العبادات في الفكر السينيوي هي "تذكيرات" مستمرة للنفس بعالمها العلوي، وهي رياضات تكسر حدة الشهوات وتنمي في الإنسان ملكة "التقوى" التي هي رأس كل فضيلة ، وبذلك، فإن النبي يجمع في شخصه وظائف الفيلسوف والمشرع والمربي، مما يجعل من اتباع سنته المسار الأضمن لتحقيق التوازن الأخلاقي والاجتماعي. (31)

ثامناً: البعد السياسي والاجتماعي للأخلاق :

يرى ابن سينا أن الإنسان "مدني بالطبع"، أي أنه لا يمكنه العيش بمفرده وتلبية حاجاته الأساسية دون تعاون مع أبناء جنسه، هذا التعاون الاجتماعي يتطلب تنظيمياً يقوم على "العدل"، ومن هنا تنبثق الحاجة إلى السياسة والتدبير المدني، السياسة عند ابن سينا هي امتداد للأخلاق؛ فإذا كانت الأخلاق هي تدبير الشخص لنفسه، فالسياسة هي تدبير الإمام للمدينة. (32)

يضع ابن سينا في ختام كتابه "الشفاء" وفي "النجاة" مبادئ العلم المدني، مؤكداً أن الاستقرار السياسي مرهون بتمسك المواطنين بالفضائل الأخلاقية، المدينة الفاضلة السنيوية هي تلك التي يسود فيها الناموس (القانون) الذي وضعه النبي أو خلفاؤه، ويهدف هذا الناموس إلى توزيع المهام بين الناس بالعدل، وتوفير البيئة المناسبة لكل فرد لاستكمال قواه العقلية. (33)

ويربط ابن سينا بين الأخلاق الاجتماعية ومفهوم "المشاركة"؛ فالإنسان يكتسب فضائله من خلال علاقته مع الآخرين، فالمحبة والصداقة، والاحترام هي مواقف طبيعية تنشأ بين الذوات في المحيط الإنساني، بينما العداوة والاحتقار هي حالات طارئة ناتجة عن رذائل أخلاقية، إن الهدف النهائي للسياسة السنيوية هو "السعادة المشتركة"، حيث يتعاون أفراد المجتمع على طاعة القوانين التي تضمن لهم الأمن في الدنيا والكمال في الآخرة، وبذلك فإن الأخلاق عند ابن سينا تتحول من سلوك فردي إلى "عقد اجتماعي" روحي يهدف إلى بناء "الإنسان المدني الفاضل". (34)

وعندما تنتقل إلى البعد السياسي والاجتماعي في فلسفة ابن سينا، نجد أن "الأخلاق" لم تعد شأنًا فردياً يهدف لتهديب النفس فحسب، بل أصبحت هي الأساس الذي تقوم عليه الدولة والمجتمع، بالنسبة لابن سينا الإنسان لا يمكنه تحقيق كماله الأخلاقي إلا داخل "المدينة"، و بما أن البشر متفاوتون في طباعهم وأخلاقهم (بسبب اختلاف أمزجتهم البدنية كما مر معنا)، فإن اجتماعهم قد يؤدي إلى النزاع والظلم. من هنا تبرز الحاجة إلى:

- المُشَرِّع (الإنسان الكامل): وهو الذي يضع القوانين (السنن) التي تنظم المعاملات.
- السياسة والأخلاق: يرى ابن سينا أن السياسة العادلة هي التي "تُكره" الناس على التخلق بالأخلاق الفاضلة حتى تصبح لديهم عادة، مما يحفظ نظام المدينة. (35)

والعدالة عند ابن سينا في البعد الاجتماعي هي انعكاس للعدالة في النفس، فيرى أن من العدل السياسي وضع كل فرد في المكان الذي يناسب "مزاجه" وقدراته الأخلاقية والعقلية ويقسم المجتمع إلى فئات (المديرون، الصناع، الحفظة)، ويرى أن الأخلاق السياسية تقتضي ألا يطغى صنف على آخر، تماماً كما لا يجب أن يطغى خلط بدني على آخر. (36)

وفي كتابه "السياسة" (أو رسالة تدبير المنازل)، يضع دستوراً أخلاقياً للعلاقة بين الزوج وزوجته، والأب وأبنائه يرى أن صلاح المدينة يبدأ من صلاح الأسرة؛ فإذا ساد الاعتدال والأخلاق داخل المنزل، انتقل هذا الأثر تلقائياً إلى المجال العام، كما يرى ابن سينا أن هدف "السياسة" ليس مجرد تنظيم العيش، بل تمكين الناس من الوصول إلى السعادة (الكمال النفسي)، ووظيفة الحاكم أو "المدير" هي تهيئة بيئة تسمح للأفراد بالتفرغ لطلب العلم وتهذيب الأخلاق، مما يوصلهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة. (37)

تاسعاً: المنهج العملي لتزكية النفس:

يقدم ابن سينا في كتابه "الإشارات والتنبيهات" فصلاً فريداً بعنوان "مقامات العارفين"، يمثل المنهج العملي والقيمة الروحية لفلسفته الأخلاقية. هذا المنهج ليس مجرد نصائح سلوكية، بل هو "سير وسلوك" يهدف إلى تجريد النفس عن علائق البدن والاتصال بعالم القدس، يصف ابن سينا العارف بأنه الشخص الذي "أعرض عن متاع الدنيا وواظب على العبادات، فصرف فكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره"، ويتضمن المنهج العملي للتزكية عدة مراحل ومقامات:

- أولاً: "الإرادة"، وهي أولى درجات السلوك، وتعني الرغبة الصادقة في التوجه نحو الحق.
- ثانياً: "الرياضة"، وهي تهدف إلى ثلاثة أغراض: تتحية غير الحق عن مسلك الإرادة، وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، وتلطيف السر للتبنيه، وتتم هذه الرياضة عبر العبادة المقرونة بالفكر، والزهد الذي هو "تجارة" عند غير العارف، ولكنه عند العارف "تنزه عما يشغل سره عن الحق.

• **ثالثاً: "الوقت"**، وهي اللحظات التي تغشى فيها النفس حالة من النورانية والبهجة عند سماع ذكر روحاني أو التأمل في عجائب الصنع الإلهي. (38)

ويضع ابن سينا منهجاً عملياً لتزكية النفس يمزج فيه بين "طب الأبدان" وفلسفة الأخلاق، ان التزكية عنده ليست مجرد ترانيم روحية، بل هي عملية "هندسة" لإعادة التوازن لقوى النفس، وقد صاغها في رسائله وفي "الإشارات والتببيهاة": كالاتي

1. مرحلة التشخيص: "مرآة العيوب"

لا تبدأ التزكية إلا بمعرفة النفس. يقترح ابن سينا طريقتين عمليتين للتعرف على عيوب النفس:
أ. **استشارة صديق صدوق:** خبير بالنفوس، يراقب سلوكك ويواجهك بعيوبك دون محاباة.
ب. **تتبع أسنة الأعداء:** يرى ابن سينا أن العدو غالباً ما يبحث عن سقطاتك التي قد تعمى عنها أنت أو أصدقاؤك، لذا فإن الاستماع لنقدهم هو أداة تشخيصية فعالة.

2. "العلاج بالضد": مبدأ التقويم البدني والنفسي

بما أن النفس تتبع البدن، فإن أول خطوة عملية هي **تعديل المزاج**.
أ. **الغذاء والرياضة:** إذا كان الشخص يميل للغضب المفرط (مزاج صفراوي حار)، عليه تناول الأغذية "الباردة" وممارسة الرياضة التي تفرغ الطاقة.
ب. **رياضة النفس:** إجبار النفس على فعل "ضد" الرذيلة التي تميل إليها. فإذا كانت النفس تميل للبخل، يلزمها الفرد بالصدقة المتكررة حتى يلين طبعها.

3. سياسة القوى الثلاث (الإدارة الداخلية)

المنهج العملي يقتضي "تحجيم" القوى الدنيئة لصالح القوى العالية:
أ. **كسر القوة الشهوانية:** بالتوسط في المأكل والمشرب والملاذ، لا بالمنع التام بل بالاعتدال.
ب. **تهذيب القوة الغضبية:** تدريب النفس على الصبر والحلم، وتحويل "الغضب" إلى "شجاعة" عاقلة.
ج. **تفعيل القوة الناطقة (العقل):** وهي القائدة. التزكية عند ابن سينا غايتها أن يصبح العقل هو "الملك" والمتحكم في قرارات الإنسان.

4. التكرار وبناء "الملكة"

يؤكد ابن سينا أن الفعل الفاضل لمرة واحدة لا يسمى "خُلُقاً". المنهج العملي يعتمد على **التعود** ويجب تكرار الأفعال الفاضلة حتى تنتقل من كونها "تكلفاً" (تحتاج مجهوداً) إلى كونها "ملكة" (تخرج بتلقائية وسهولة). عندما تجد لذة في العطاء أو الحلم، تعلم أن التزكية قد بدأت تؤتي ثمارها.

5. العزلة والتأمل (تزكية "العارفين")

في مستويات متقدمة، يطرح ابن سينا في "مقامات العارفين" خطوات أكثر عمقاً:
أ. **الإرادة:** وهي الرغبة الصادقة في التغيير.
ب. **الرياضة الصوفية:** ويقصد بها ترويض الخيال ليتوقف عن الانشغال بالمحسوسات، والبدء في التأمل في "المبادئ العالية" (الخالق والكون).
ج. **الوقت الضائع:** تنقية الوقت من المشغلات التي لا نفع فيها، وتركيز الذهن على "الفكر" و"الذكر".

6. الربط الاجتماعي (التزكية عبر الخدمة)

لا يرى ابن سينا أن التزكية تعني الانقطاع عن الناس، بل يرى أن ممارسة الأخلاق الفاضلة مع الآخرين (العدل، الإحسان، التعاون) هي المختبر الحقيقي لنجاح عملية التزكية. فالمجتمع هو المرآة التي تظهر مدى توازن قواك الداخلية. (39)

ويؤكد ابن سينا أن التزكية عملية "تدرجية"؛ فالمريد يترقى من مقام إلى مقام حتى يصل إلى "الاتصال" الذي يحو فيه إحساسه بذاته ليصبح منغمساً في شهود الحق. العبادة عند العارف هي "رياضة لماهيته وقوى نفسه المتهومة والمتخيلة، ليجرها بالتعويد عن جناب الغرور إلى جناب الحق"، إن المنهج العملي للتزكية عند ابن سينا هو في جوهره عملية "تحرر"؛ تحرر العقل من أسر الحواس، وتحرر الإرادة من أسر الشهوات، وصولاً إلى "اللذة الروحية المحضة" التي تفوق كل لذة حسية. (40)

عاشراً: الأثر التاريخي لفلسفة الأخلاق في الفكر الإسلامي والغربي:

تركت فلسفة الأخلاق عند ابن سينا أثراً عميقاً ومستمراً في تاريخ الفكر العالمي في العالم الإسلامي، ورغم الهجوم الذي شنّه الغزالي على آراء ابن سينا الميتافيزيقية، إلا أنه استعار جُل هيكله الأخلاقي في "إحياء علوم الدين" و"ميزان العمل"، لقد وجد الغزالي في تقسيمات ابن سينا للنفس وفضائلها أداة فلسفية قوية لتفسير المقامات الصوفية والتربية الأخلاقية، مما أدى إلى "أنسنة" الأخلاق الدينية بللمسة فلسفية. (41)

أما نصير الدين الطوسي، فقد كان المدافع الأكبر عن الإرث ابن سينا في كتابه "الأخلاق الناصرية"، قام الطوسي ببناء نسق أخلاقي متكامل يقوم على مبادئ ابن سينا، خاصة في تعريف الخير بأنه "الوجود" وفي تحليل السعادة الروحية. لقد أثبت الطوسي أن ابن سينا قادر على تقديم إطار عقلائي متماسك للأخلاق الإسلامية، يجمع بين الفضائل اليونانية والمقاصد الشرعية، وهو ما جعل من "الأخلاق الناصرية" المرجع الأول في هذا العلم لقرون طويلة وفي الغرب اللاتيني كان تأثيره في العصور الوسطى هائلاً. فقد تأثر القديس توما الأكويني بنظرية ابن سينا في النفس وقواها، ودمج تمييزه بين الماهية والوجود في فلسفته الأخلاقية واللاهوتية. كما استلهم فلاسفة عصر النهضة الإسبانية أفكار ابن سينا في الميتافيزيقا لتطوير نظريات في الحقوق الطبيعية والعدالة الاجتماعية. (42)

وتعتبر فلسفة الأخلاق عند ابن سينا "الجسر العظيم" الذي عبرت عليه الأفكار من العصور القديمة إلى العصور الوسطى، ومن الشرق إلى الغرب. لم يترك الشيخ الرئيس مجرد نظريات، بل صاغ لغة علمية للأخلاق دمجت بين الطب والمنطق والدين، مما جعل أثره عميقاً ومستمراً لقرون و انقسم التأثير التاريخي لفلسفته في الفكرين الإسلامي والغربي:

1- الأثر في الفكر الإسلامي (تأصيل "الأخلاق الفلسفية") :

قبل ابن سينا، كانت الأخلاق إما فقهية صرفة أو يونانية مترجمة، مع ابن سينا أصبحت الأخلاق "علماً برهانياً" مرتبطاً بعلم النفس والطب و أثرت رسائله (مثل "الإشارات والتبهيئات") في تحويل التصوف من زهد عملي إلى "عرفان نظري" و تأثر به السهروردي (مؤسس الإشراق) وابن عربي في فهم مراتب النفس والكمال الإنساني و رغم نقد الغزالي العنيف لابن سينا، إلا أنه استعار "المعمار الفلسفي" لابن سينا في كتابه "إحياء علوم الدين". فالتقسيمات النفسية للأخلاق عند الغزالي هي في جوهرها "سينوية" مع صبغة شرعية. (43)

2- الأثر في الفكر الغربي (اللاتيني)

عندما ترجمت أعمال ابن سينا إلى اللاتينية في طليطلة (القرن 12)، أحدثت ثورة فكرية عُرفت بـ "السينوية اللاتينية" و اعتمد القديس توما الأكويني بشكل مكثف على تعريفات ابن سينا للنفس وقواها. فكرة أن "الأخلاق تتبع الطبيعة" وأن العقل هو القائد، هي أفكار انتقلت عبر ابن سينا لتصبح ركيزة في اللاهوت الأخلاقي المسيحي و كان ألبرت الكبير من أكبر

المعجبين بمنهج ابن سينا في ربط الأخلاق بعلم وظائف الأعضاء، مما مهد الطريق للغرب لفهم الأخلاق كجزء من "الأنثروبولوجيا" (علم الإنسان) وليس فقط كوصايا دينية، أما حجة "الإنسان الطائر" لابن سينا (التي تثبت وجود النفس بشكل منفصل عن الحواس) كانت ملهمة بشكل غير مباشر لـ "كوجيتو" ديكرت، مما أثر على التأسيس الحديث للأخلاق القائمة على "الوعي الذاتي"، إن حضور ابن سينا في فكر ويليام أوف أوفيرني وألبرت الكبير يؤكد أنه لم يكن مجرد ناقل لأرسطو، بل كان "مؤسساً" لمدرسة فلسفية أخلاقية مستقلة تركت بصماتها على تطور الفكر الأخلاقي في أوروبا. (44) و يكمن سر بقاء فلسفة ابن سينا الأخلاقية في أنها "فلسفة عابرة للتخصصات"، فهو لم يقل للإنسان "كن خيراً" فحسب، بل شرح له:

طبيباً: كيف تؤثر أخلاط جسمك على سلوكك.

نفسياً: كيف يعمل عقلك الباطن وخيالك.

سياسياً: كيف تتعكس أخلاقك على استقرار دولتك. (45)

الخاتمة

تُعد فلسفة الأخلاق عند ابن سينا نتاجاً عبقرياً لمزج العلوم الطبية بالمفاهيم الفلسفية والمبادئ الشرعية الإسلامية، مما جعلها نموذجاً فريداً في تاريخ الفكر الإنساني، فقد نجح "ابن سينا" في تقديم رؤية تكاملية تجعل من الأخلاق "طباً للنفس"، حيث يترابط فيها اعتدال السلوك باستقامة المزاج البدني وهيمنة القوة العاقلة على نزعات الشهوة والغضب، إن الأخلاق عند ابن سينا تتجاوز كونها مجرد وعظ إرشادي، لتصبح منهجاً علمياً وعملياً دقيقاً يهدف إلى تحرير النفس البشرية من قيود المادة وأسر الجسد، تمهيداً للوصول بها إلى "السعادة القصوى" والاتصال بالعالم العلوي.

وبذلك تبرز هذه الفلسفة كشاهد على قدرة العقل العربي الإسلامي على التوليف بين الحكمة اليونانية والوحي الإلهي، فهي لا تقف عند حدود تهذيب الفرد، بل تمتد لتؤصل للعدالة كضرورة وجودية واجتماعية تضمن استقرار المدينة الفاضلة وتحقيق التناغم الكوني، وتظل رؤيته للأخلاق كملكة راسخة تكتسب بالرياضة والتعود هي الركيزة الأساسية التي استلهمتها المدارس الفلسفية واللاهوتية في الشرق والغرب لقرون طويلة.

النتائج

من خلال ما سبق يمكن أن نصل إلى الآتي :

1. الأخلاق عند ابن سينا هي "هيئة راسخة" أو ملكة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة، وليست مجرد أفعال عارضة.
2. توجد علاقة طردية وثيقة بين "المزاج البدني" (الأخلاط الأربعة) وبين الميول الأخلاقية، مما يجعل الأخلاق جزءاً من الصحة العامة للإنسان.
3. الفضيلة عند ابن سينا تتحقق من خلال "الوسط الذهبي"، فهي توازن دقيق بين رذيلتي الإفراط والتفريط في القوى النفسية.
4. الغاية النهائية للعمل الأخلاقي هي "السعادة القصوى"، التي تتحقق بتطهير النفس وتجريدها للاتصال بالعقل الفعال.
5. الشريعة والوحي يمثلان "العقل المجسد" الذي يقدم للأخلاق الإلزام والغاية، ويضع القوانين التي تضمن استقرار المجتمع.
6. العدالة هي الفضيلة الجامعة التي تضمن تناغم قوى النفس، وهي أساس بناء "المدينة الفاضلة" والتعاون المدني.

التوصيات

1. ضرورة تبني منهج "الرياضة النفسية" لابن سينا في المؤسسات التربوية لتدريب الناشئة على ضبط القوى الشهوانية والغضببية.
2. أهمية دمج البعد النفسي والطبي في دراسة الأخلاق، وعدم فصل السلوك البشري عن الحالة الفيزيولوجية والمزاجية للفرد.
3. تفعيل مبدأ "الوسطية" لابن سينا كميّار لتقويم السلوك الاجتماعي والسياسي للحد من ظواهر التشدد أو الانحلال.
4. تعميق الدراسات البحثية التي تربط بين التراث الفلسفي الإسلامي (كفكر ابن سينا) وبين علم النفس الحديث وتطبيقاته العلاجية.
5. حث الباحثين على دراسة "مقامات العارفين" عند ابن سينا كمنهج عملي للتركيز الروحية يتجاوز التنظير الفلسفي المجرد.
6. الدعوة إلى تعزيز "العدالة الاجتماعية" في الفضاء المدني باعتبارها انعكاساً للعدالة النفسية وشرطاً أساسياً لتحقيق السعادة المشتركة.

الهوامش

- 1- أحمد فؤاد الأهواني، فلسفة ابن سينا في النفس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 4، 2001، ص13
- * عندما كان ابن سينا في مقتبل عمره، استضاف والده الحكيم أبو عبد الله الناطلي في منزله ليعلم ابنه. يذكر ابن سينا في سيرته الذاتية أن الناطلي كان "متفلسفاً"، وعنه أخذ مبادئ المنطق (إيساغوجي) وكتاب إقليدس في الهندسة، قبل أن يتفوق التلميذ على أستاذه
- 2- قاسم محمود نظرية المعرفة عند ابن سينا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2021، ص3، 22
- 3- ابن سينا، الشفاء، فن الطبيعيات السماع الطبيعي، تح: سعد زايد الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 2019، ص39
- 4- ابن سينا، الأسئلة والأجوبة تح: د. مهدي محقق، سيد حسين نصر الله، دار النشر در اجمن مفاخر فرهنكي، إيران، د. ط، 2005م.
- 5- سهيل إم أفنان، ابن سينا: حياته وأثاره وفلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م، ص41
- ** توما الإكويني أو توماس إكوينيس راهبٌ دومينيكاني، وفيلسوف، وكاهن كاثوليكي، وملفانٌ في الكنيسة الكاثوليكية وهو لقب تمنحه الكنيسة الكاثوليكية لمن تعترف لهم بأنهم قدموا إسهاماً كبيراً في مجال اللاهوت أو العقيدة أو الإيمان المسيحي بعامةٍ من خلال دراساتهم أو كتاباتهم أو تعاليمه
- *** فخر الدين الرازي (المتوفى 606هـ) المحطة الأبرز في تاريخ الفلسفة الإسلامية بعد ابن سينا، ليس لأنه تلميذه، بل لأنه كان "المُحاور الشرس" الذي أخضع فلسفة ابن سينا لنقد عقلي وجدلي لا مثيل له.
- 6- سورة القلم الآية رقم 4
- 7- سورة الفرقان الآية 67
- 8- ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، فن النبات، تح: د. عبد الحليم منتصر، عبد الله إسماعيل، سعيد زايد الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 2007، ص42.

- 9- ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، فن الحيوان، تح: د. عبد الحليم منتصر، عبد الله إسماعيل، سعيد زايد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، د. ط5 2007، ص39
- 10- ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات تح: حسن عاصي دار قابس بيروت، ط2، 2001، ص56
- 11- ابن رشد، الكليات في الطب، تح: د. سعيد شيبان، د. عمار الطالبى المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع الإتحاد الدولي للأكاديميات مع الإشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 2015، ص11
- 12- ابن سينا، القانون في الطب، ضبط وعلق على حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص11
- 13- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات بهامشه شرح نصير الدين الطوسي، تح: سليمان دنيا دار المعارف، القاهرة، 2018، ط3، ، قسم المنطق، ص47
- 14- ابن سينا، القانون في الطب، ضبط وعلق مرجع سبق ذكره، ص10
- 15- ابن سينا، كتاب الشفاء (الإلهيات) ، مرجع سبق ذكره ، ص69
- 16- ابن سينا، الشفاء الطبيعيات، فن النبات، مصدر سبق ذكره ، ص66.
- 17- محمد خير حسن عرقوسي، وحسن ملأ عثمان، ابن سينا، والنفس البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 2004، ص18
- 18- محمد عاطف العراقي، النزعة العقلية في فلسفة ابن سينا، دار المعارف، القاهرة، ط3، 2004، ص24
- 19- سهيل إم أفنان، ابن سينا: مرجع سبق ذكره ، ص24
- 20- ابن سينا، النجاة في المنطق والإلهيات، تحقيق: ماجد فخري، دار الجيل، بيروت، ط3، 2000، ص44
- 21- أحمد فؤاد الأهواني، فلسفة ابن سينا في النفس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط4 ، 2001، ص34
- 22- كمال مبروك، ابن سينا والنزعة التوفيقية في فلسفته الإلهية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1990، ص58
- 23- محمد عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره، ص29
- 24- زينب محمود الخضيرى، ابن سينا وتلاميذه اللاتين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2022، ص45 .
- 25- ابن سينا، رسالة الحدود والرسوم، حققها، وقدم لها، وعلق عليها، عبد الأمير الأعسم، دار المناهل للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2020م، ص63
- 26- محمد عاطف العراقي، النزعة العقلية في فلسفة ابن سينا، ، مرجع سبق ذكره ، ص84
- 27- ابن سينا، كتاب الشفاء (الإلهيات) ، مصدر سبق ذكره، ص77
- 28- عبد الأمير شمس الدين، المذهب التريوي عند ابن سينا، من خلال فلسفته العملية، ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط2، 2009، ص89
- 29- ابن سينا، رسالة الحدود والرسوم، مرجع سبق ذكره، ص89
- 30- زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص105
- 31- الإشارات والتنبيهات تأليف الفيلسوف ابن سينا - شرح الشيخ نصير الدين الطوسي - تحقيق الدكتور / سليمان دنيا - الطبعة الثالثة / دار المعارف المصرية. 2005، ص136
- 32- ابن سينا، كتاب الشفاء (الإلهيات) ،مرجع سبق ذكره، ص77

- 33- زينب محمود الخضيرى، ابن سينا وتلاميذه اللاتين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2022، ص47
- 34- عبد الأمير شمس الدين، مرجع سبق ذكره، ص114
- 35- محمد خير حسن عرقوسي، وحسن ملاً عثمان، مرجع سبق ذكره، ص33
- 36- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات بهامشه شرح نصير الدين الطوسي، مصدر سبق ذكره، ص91
- 37- ابن سينا الشفاء، الطبيعيات السماء العالم الكون والفساد الفعل والانفعالات تح د. محمود قاسم دار الكتاب العربي، القاهرة، ط3، 2003، ص25
- 38- ابن سينا الشفاء الطبيعيات، فن الحيوان، مصدر سبق ذكره ، ص117
- 39- زينب محمود الخضيرى، ابن سينا، وتلاميذه اللاتين مرجع سبق ذكره ، ص65
- 40- ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات مصدر سبق ذكره ، ص101
- 41- ابن سينا، رسالة الحدود والرسوم، حققها، وقدم لها، وعلق عليها، عبد الأمير الأعسم، دار المناهل للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2020م، ص104
- 42- الإشارات والتنبيهات تأليف الفيلسوف ابن سينا ، مصدر سبق ذكره ، ص92
- 43- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات بهامشه شرح نصير الدين الطوسي، تح مصدر سبق ذكره، ص32
- 44- ابن رشد، مصدر سبق ذكره، ص66
- 45- ابن سينا، كتاب الشفاء (الإلهيات) ،مصدر سبق ذكره، ص90

المراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- ابن رشد، الكليات في الطب، تح: د. سعيد شيبان، د. عمار الطالبي المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع الإتحاد الدولي للأكاديميات مع الاشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 2015.
- 3- ابن سينا الشفاء، الطبيعيات السماء العالم الكون والفساد الفعل والانفعالات تح د. محمود قاسم دار الكتاب العربي، القاهرة، ط3، 2003.
- 4- ابن سينا، الأسئلة والأجوبة تح: د. مهدي محقق ، سيد حسين نصر الله ، دار النشر در اجمن مفاخر فرهنگي، إيران، د. ط، 2005م.
- 5- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات بهامشه شرح نصير الدين الطوسي، تح سليمان دنيا، القسم الطبيعي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط4، 2017.
- 6- ابن سينا، القانون في الطب، ضبط وعلق على حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
- 7- ابن سينا، النجاة في المنطق والإلهيات، تحقيق: ماجد فخري، دار الجيل، بيروت، ط3، 2000.
- 8- ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات تح: حسن عاصي دار قابس بيروت، ط2، 2001
- 9- ابن سينا، رسالة الحدود والرسوم، حققها، وقدم لها، وعلق عليها، عبد الأمير الأعسم، دار المناهل للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2020.
- 10- ابن سينا، كتاب الشفاء (الإلهيات) تحقيق: إبراهيم مذكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ط2، 2011.
- 11- ابن سينا الشفاء الطبيعيات، فن الحيوان، تح: د. عبد الحلیم منتصر، عبد الله إسماعيل، سعيد زايد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، د. ط5 2007.

- 12- ابن سينا الشفاء الطبيعيات، فن النبات، تح: د. عبد الحلیم منتصر، عبد الله إسماعيل، سعيد زايد الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 2007.
- 13- ابن سينا الشفاء، فن الطبيعيات السماع الطبيعي، تح: سعد زايد الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط3، 2019.
- 14- أحمد فؤاد الأهواني، فلسفة ابن سينا في النفس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 4، 2001.
- 15- الإشارات والتنبيهات تأليف الفيلسوف ابن سينا - شرح الشيخ نصير الدين الطوسي - تحقيق الدكتور / سليمان دنيا - الطبعة الثالثة / دار المعارف المصرية. 2005.
- 16- زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.
- 17- زينب محمود الخضيرى، ابن سينا، وتلاميذه اللاتين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2022.
- 18- سهيل إم أفنان، ابن سينا: حياته وآثاره وفلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991.
- 19- عبد الأمير شمس الدين، المذهب التربوي عند ابن سينا، من خلال فلسفته العملية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط2، 2009.
- 20- قاسم محمود نظرية المعرفة عند ابن سينا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2021.
- 21- كمال مبروك، ابن سينا والنزعة التوفيقية في فلسفته الإلهية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1990.
- 22- محمد خير حسن عرقوسي، وحسن ملأ عثمان، ابن سينا، والنفس البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 2004.